الباب الثانى

نشأة الفلسفة العملية

(القرنان الخامس والرابع قبل الميلاد)

٢٢ — تمهيد :

١ — بالرغم مما ذكرنا من عناية الفيثاغوريين بالأخلاق ، والإيليين بالمبادىء العقلية والجدل ، كان الفكر اليونانى فى الدور الأول متجهاً نحو العالم الخارجى مستغرقاً فيه . أما العالم الداخلى الذى هو مصدر الأخلاق وموطنها ، وأما العقل الذى هو مصدر المعرفة ومستقرها فلم يعن بهما بالذات . ولكنه لم يلبث طويلا حتى طرأت عليه أحوال ساقته إلى الاشتغال بهذه الناحية من الفلسفة . ذلك أن جماعة من معلمى البيان ، سموا بالسوفسطائية ، تشككوا فى العقل وفى أصول الأخلاق ، وحاربهم سقراط ، والتف حوله تلاميذه ، فخاضوا كلهم فى مسائل جدلية وخلقية كونت مواد الفلسفة العملية ، وكان هذا التطور مطابقاً للتطور الطبيعى فى الفرد ينظر أولا إلى الخارج ، ولا يتجه إلى الداخل إلا فيما بعد .

الفصل الأول

السوفسطائيون

٢٣ — نشوء السوفسطائية :

ا — بعد أن دحرت أثينا الفرس وحفظت لليونان استقلالهم وعقليتهم ، مضى هؤلاء يستكملون أسباب الحضارة بهم جديدة ، ونبغ فيهم العلماء والشعراء والفنانون والمؤرخون والأطباء والصناع ، وقويت الديموقراطية فى جميع المدن ، وتعاظم التنافس بين الأفراد ، فزادت أسباب النزاع أمام المحاكم والمجالس الشعبية ، وشاع الجدل القضائى والسياسى . فنشأت من هاتين الناحيتين الحاجة إلى تعلم الخطابة وأساليب المحاجة واستمالة الجمهور ، ووجد فريق من المثقفين المجال واسعاً لاستغلال مواهبهم فانقلبوا معلمى بيان . وهؤلاء هم السوفسطائيون ملأوا النصف الثانى من القرن الخامس .

ب — وكان اسم « سوفيستوس » يدل فى الأصل على المعلم فى أى فرع كان من العلوم والصناعات ، وبنوع خاص على معلم البيان . ثم لحقه التحقير فى عهد سقراط وأفلاطون ، لأن السوفسطائيين كانوا مجادلين مغالطين ، وكانوا متجرين بالعلم . أما الجدل فقد وقفوا عليه جهدهم كله . خرجوا من مختلف المدارس الفلسفية لا يرمون لغير تخريج تلاميذ يحذقونه ، وكانوا يفاخرون بتأييد القول الواحد ونقيضه على السواء ، وبإيراد الحجج الخلابة فى مختلف المسائل والمواقف . ومن كانت هذه غايته فهو لا يبحث عن الحقيقة ، بل عن وسائل الإقناع والتأثير الخطابى . ولم يكن ليتم لهم غرضهم بغير النظر فى الألفاظ ودلالاتها ، والقضايا وأنواعها ، والحجج وشروطها ، والمغالطة وأساليبها ، فخلفوا فى هذه الناحية من الثقافة أثراً حقيقاً بالذكر . أما سائر العلوم فكانوا يلمون بها إلماماً يساعدهم على استنباط الحجج والمغالطات وعلى التظاهر بالعلم . فتناولوا بالجدل المذاهب الفلسفية المعروفة ، وعارضوا بعضها ببعض ، وتطرق بحثهم إلى المبادئ الخلقية والاجتماعية ، فجادلوا فى أن هناك حقاً وباطلا ، وخيراً وشراً ، وعدلا وظلماً بالذات ، وأذاعوا التشكك فى الدين فسخروا من شعائره ، واختلقوا على آلهته الأقاويل ، ومجدوا القوة والغلبة ، وكان الأمر إلى الديموقراطية تتمدد فيها القوانين

وتتناسخ ، فيدخل على النفوس أن القانون والحق ما يريده القوى .

ح — وأما اتجارهم بالعلم فقد كان شائناً حقاً : كانوا يتنقلون بين المدن يطلبون الشباب الثرى ويتقاضونه الأجور الوفيرة . وكان هذا الشباب يهرع إليهم ليتقوى بالعلم فوق ما توفر له من أسباب الغلبة كالمال والعصبية ؛ فيستمع إلى خطبهم الملقية ودروسهم الخاصة . فأصابوا مالا طائلا وجاهاً عريضاً . ولكن اليونان كانوا يستقبحون أن يباع العلم ويشترى وكانوا يفهمون التعليم على أن التلاميذ يفدون على المعلم يقيم فى مكان دائم ، ولا يبذلون من المال إلا الضرورى لحاجات المدرسة ، فعكس السوفسطائيون الآية وتنزلوا بالعلم إلى مستوى الحرف والصنائع ، فلحقتهم الزراية . لم يأخذوا بالعلم على أنه معرفة الحقيقة ، ولم يكترثوا لقيمته الذاتية ، ولا لفطرة العقل التى تدفعه لطلب الحق ، بل استعملوا العلم وسيلة لجر منفعة غريبة عن العلم ، وهزأوا من العقل ، فكانوا معلمين وخطباء ، ولم يكونوا حكماء . هذا هو الموقف الشاذ الأثيم الذى جعل اسمهم سبة على مر الأجيال . — وأشهرهم اثنان : بروتاغوراس وغورغياس .

٢٤ — بروتاغوراس (٤٨٠ — ٤١٠) :

ا — ولد فى أبديرا ، وعرف فيلسوفها الكبير ديموقريطس . وبعد أن طاف أنحاء إيطاليا الجنوبية واليونان يلقى فيها الخطب البليغة ، قدم أثينا حوالى سنة ٤٥٠ ، ولم تطل إقامته فيها لأنه كان قد نشر كتاباً أسماه « الحقيقة » وردت فى رأسه هذه العبارة « لا أستطيع أن أعلم إن كان الآلهة موجودين أم غير موجودين ، فإن أموراً كثيرة تحول بينى وبين هذا العلم ، أخصها غموض المسألة وقصر الحياة » فاتهم بالإلحاد ، وحكم عليه بالإعدام ، وأحرقت كتبه علناً . ففر هارباً ، ومات غرقاً فى أثناء فراره .

ب — وقد وصلت إلينا من الكتاب المذكور عبارة أخرى هى قوله « الإنسان مقياس الأشياء جميعاً . هو مقياس وجود ما يوجد منها ، ومقياس لا وجود ما لا يوجد » . وشرحها أفلاطون كما يلى قال[1] : يتبين معناها بالجمع بين رأى هرقليطس فى التغير المتصل ، وقول ديموقريطس إن الإحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة ، فيخرج منهما « أن الأشياء هى

---

(١) فى محاورة « تيتياتوس » ص ١٥٢ .

بالنسبة إلىّ على ما تبدو لى ، وهى بالنسبة إليك على ما تبدو لك ، وأنت إنسان وأنا إنسان » فالمقصود بالإنسان هنا الفرد من حيث هو كذلك ، لا الماهية النوعية . ولما كان الأفراد يختلفون سناً وتكويناً وشعوراً ، وكانت الأشياء تختلف وتتغير ، كانت الإحساسات متعددة بالضرورة متعارضة : أليس يحدث أن هواء بعينه يرتعش منه الواحد ولا يرتعش الآخر ، ويكون خفيفاً على الواحد عنيفاً على الآخر ؛ فاذا عسى أن يكون فى هذا الوقت الهواء فى ذاته ؟ هل نقول إنه بارد ، أم نقول إنه ليس بارداً ؟ أم نسلم أنه بارد عند الذى يرتعش ، ليس ببارد عند الآخر ؟ »[1] « وإذن فلا يوجد شىء هو واحد فى ذاته وبذاته ، ولا يوجد شىء يمكن أن يسمى أو أن يوصف بالضبط . . . لأن كل شىء فى تحول مستمر » فما نحسه فهو موجود على النحو الذى نحسه ، وما ليس فى حسنا فهو غير موجود . وعلى ذلك تبطل الحقيقة المطلقة لتحل محلها حقائق متعددة بتعدد الأشخاص وتعدد حالات الشخص الواحد ويمتنع الخطأ إذ يمتنع أن نتصور غير ما نتصور فى وقت ما . — والنتيجة المنطقية أن ما يصدق على المعرفة يصدق أيضاً على العمل ، وأن الفرد مقياس النفع والضر ، والخير والشر ، والعدل والظلم ؛ غير أن هذا لا يعنى ترك الأمور فوضى وإنكار الحكمة والحكيم ، فإن من التصورات ما بعضه « خير » من بعض ، فالطبيب حكيم إذ يستخدم العقاقير لاستبدال تصورات الصحيح بتصورات المريض ، والأولى « خير » من الثانية والسوفسطائى أو تلميذه حكيم إذ يحدث فى السياسة مثل هذا الانقلاب . فما يسمى حقاً فى العمل هو النافع فى وقت معين وظروف معينة[2] .

ح — ويتابع أرسطو أفلاطون فى تأويل عبارة بروتاغوراس[3] . على أن لأفلاطون محاورة اسمها « بروتاغوراس » أقدم من « تيتياتوس » يصور فيها السوفسطائى حياً يرزق غير شاكٍّ لا كثيراً ولا قليلا ، بينما هو يقول عنه فى المحاورة الأخرى إنه مات من زمن طويل ، ويورد « مذهبه » على أنه « رأى خاص » يختلف عما كان يعلنه للجمهور . ومما يلاحظ أيضاً أن بروتاغوراس علل توقفه عن القول بالآلهة بصعوبة المسألة من جهة ، وبقصر العمر من جهة أخرى ، ولم يقل « الآلهة موجودون بالإضافة إلى من يؤمن بهم »

---

(١) لهذا دعا الإسلاميون مذهبه بالعندية : رأى كل فرد حق « عنده » وبالقياس إليه .

(٢) محاورة « تيتياتوس » ص ١٦٦ — ١٦٨ .

(٣) مابعد الطبيعة م ٤ ف ٥ .

وغير موجودين بالإضافة إلى من ينكرهم » لهذا كله يمكن الارتياب فى أن يكون بروتاغوراس قد ذهب إلى هذا الحد من الشك ويبقى أن « مذهبه » يمثل النتيجة المحتومة لمذهب هرقليطس ، وأن أفلاطون اتخذ اسم بروتاغوراس عنوانا لها ، وكل قصده أن يبرزها فى صورة قوية .

٢٥ — غورغياس (٤٨٠ — ٣٧٥)

ا — ولد فى ليونتيوم من أعمال صقلية . وأخذ العلم عن أنبادوقليس . واشتغل بالطبيعيات مثله ، وعنى باللغة والبيان ، فكان أفصح أهل زمانه وأبلغهم . قدم أثينا سنة ٤٢٧ يستنصرها باسم مدينته على أهل سراقوصة فخلب ألباب الأثينيين ببلاغته . ويصوره أفلاطون فى الحوار المعنون باسمه مفاخراً بمقدرته على الإجابة عن أى سؤال يلقى عليه . مات فى تساليا وقد قاربت سنه المائة أو جاوزتها ، وعظم صيته ، وضخمت ثروته .

ب — وضع كتابا « فى اللاوجود » قصد به إلى التمثيل لفنه والإعلان عن مقدرته بالرد على الإيليين والتفوق عليهم فى الجدل . وتتلخص أقواله فى قضايا ثلاث : الأولى : لا يوجد شىء — الثانية : إذا كان هناك شىء فالإنسان قاصر عن إدراكه — الثالثة : إذا فرضنا أن إنساناً أدركه فلن يستطيع أن يبلغه لغيره من الناس . — أما عن الأولى فيقول : اللاوجود غير موجود من حيث إنه لا وجود ، والوجود غير موجود كذلك ، فإن هذا الوجود إما أن يكون قديماً أو حادثاً : فإن كان قديماً فهذا يعنى أن ليس له مبدأ ، وأنه لامتناه ، ولكنه محوى بالضرورة فى مكان ، فيلزم أن مكانه مغاير له وأعظم منه ، وهذا يناقض كونه لا متناهياً ، وإذن فليس الوجود قديماً . أما إن كان حادثاً ، فإما أن يكون قد حدث بفعل شىء موجود أو بفعل شىء غير موجود : فى الفرض الأول لا يصح أن يقال إنه حدث ، لأنه كان موجوداً فى الشىء الذى أحدثه ، فهو إذن قديم . وفى الفرض الثانى الامتناع واضح . — وأما عن القضية الثانية فإنه يقول : لكى نعرف وجود الأشياء يجب أن يكون بين تصوراتنا وبين الأشياء علاقة ضرورية هى علاقة المعلوم بالعلم ، أى أن يكون الفكر مطابقاً للوجود ، وأن يوجد الوجود على ما نتصوره . ولكن هذا باطل ، فكثيراً ما تخدعنا حواسنا ، وكثيراً ما تركب المخيلة صوراً لا حقيقة لها . — وأما عن القضية الثالثة فترجع حجته إلى أن وسيلة التفاهم بين الناس هى اللغة ، ولكن ألفاظ اللغة إشارات وضعية أى رموز ، وليست

مشابهة للأشياء المفروض علمها ، فكما أن ما هو مدرك بالبصر ليس مدركا بالسمع ، والعكس بالعكس ؛ فإن ما هو موجود خارجاً عنا مغاير للألفاظ . فنحن ننقل للناس ألفاظنا ولا ننقل لهم الأشياء . فاللغة والوجود دائرتان متخارجتان[1] .

ح — هذا مثال من عبث السوفسطائيين . ومهما يقل من أنهم أخرجوا الثقافة من المدارس الفلسفية ونشروها فى الجمهور ، وأنهم مهدوا للمنطق وللأخلاق ، فقد كادوا يقضون على الفلسفة لولا أن أقام الله سقراط ينتشلها من هذه الورطة المهلكة .

---

(١) انظر الكتاب المنسوب إلى أرسطو : « فى ميليسوس واكسانوفان وغورغياس » ف ٥ و ٦ — ويسمى الإسلاميون موقفه بالمنادية : ما من قضية إلا ولها معارضة يمثلها قوة .

الفصل الثاني

سقراط

(٤٦٩ — ٣٩٩)

٣٦ — حياته :

ا — نحن نعلم أن سقراط ولد فى أثينا ، وعلّم فيها ، واتهم بالإلحاد ، وحكم عليه بالإعدام ، ونعلم أنه أثار من الإعجاب والمداوة فى آن واحد ما لا يتفق إلا للرجال الممتازين ، وأن أثره كان من القوة بحيث إن اسمه يشطر الفلسفة اليونانية شطرين : ما قبله وما بعده . فإذا أردنا أن نصور شخصيته ، وأن نقيد آراءه (وهو لم يعن بالكتابة قط) اعترضنا تضارب الروايات ، وتباين المذاهب الصادرة عنه[1] . وأشهر الروايات ثلاث لثلاثة معاصرين هم : أرسطوفان وأفلاطون واكسانوفون . كان أرسطوفان شاعراً هزلياً يعرض على المسرح ألواناً من أخلاق الناس ؛ وقد خصص لسقراط إحدى قصصه وصوره فيها كواحد من السوفسطائيين لا أكثر ؛ وسنعود إليها بعد قليل . وكان أفلاطون فيلسوفاً فنانا ، وضع كتبه فى شكل محاورات توارى فيها وراء شخص سقراط ينطقه بأفكاره ويضيف إليه ما يشاء حتى يجعل منه صورة حية للمثل الأعلى . وكان اكسانوفون أديبا متفلسفا ، جمع « مذكرات » لسقراط لا ندرى لها سندا ، وأبرز فيها البساطة المعروفة عنه حتى نزل بها إلى حد التبذل ، فأخرج لنا صورة تافهة لا تفسر ما كان لسقراط من خطر . وإن هذا الخطر ليرجح رواية أفلاطون ، على أن نحسب للمبالغة البريئة حسابها (٤٤ ج) وأن نعوّل على مؤلفاته الأولى القريبة العهد بسقراط ، يضاف إلى ذلك عبارات صريحة لأرسطو تعين على تصوير المذهب .

ب — بدأ سقراط بأن كان نحاتاً كأبيه . ولكن الميل إلى الحكمة اشتد به فى سن مبكرة ، بتأثير الأوساط الفيثاغورية والأورفية بأثينا ، فأخذ يغذى عقله ويهذب نفسه ، وقد فهم الحكمة على أنها كمال العلم لكمال العمل . فمن الناحية العقلية ، أفاد من مناهج السوفسطائيين حتى كوّن لنفسه منهجا ، ولم يأخذ بشكوكهم . ونظر فى الطبيعيات والرياضيات ، ولم يطل النظر لبعدها عن العمل ، فضلا عن تناقض الطبيعيين فيما بينهم .

(١) مذهب أفلاطون (الباب الثالث) ومذهب « صغار السقراطيين » (الفصل التالى) .

واقتنع بأن العلم إنما هو العلم بالنفس لأجل تقويمها ، واتخذ شعاراً له كلمة قرأها فى معبد دلف هى « اعرف نفسك بنفسك » . ومن الناحية الخلقية ، كان يغالب مزاجه الحاد ، ويقسو على جسمه القوى ليروضه على طاعة العقل .

ح — فلما تم له بعض غرضه ، طلع على الأثينيين يخوض معهم فيما كان يثيره السوفسطائيون من مسائل أدبية وخلقية واجتماعية ، والأثينيون يقبلون عليه رغم دمامة خلقته ، معجبين بحديثه البسيط البليغ معاً وبقوة عارضته وشدة مراسه فى الجدل . ولم يكن له مدرسة بمعنى الكلمة بل كان يجتمع بالناس أينما اتفق ، فيجادل أو يخطب أو يشرح الشعراء . وكانت له مع ذلك حلقته من الإخوان والمريدين ؛ منهم الأثينى ، ومنهم الغريب يختلف إلى أثينا من حين إلى حين ليراه ويستمع إليه ؛ منهم حديث العهد بالفلسفة ، ومنهم المعروف بانتمائه لمدرسة أخرى . وكان يؤثر التحدث إلى الشباب ، لكى يصلح ما أفسد السوفسطائيون من أمرهم ، ويبصرهم بالحق والخير ، ليهيئ للبلد مستقبلا طيباً على أيديهم . وحدث أن سأل أحد مريديه كاهنة دلف الناطقة بوحى أبولون إن كان هناك رجل أحكم من سقراط . فكان الجواب بالسلب ، فعجب له سقراط ولم يكن يرى فى نفسه شيئاً من الحكمة . وأراد أن يستبين غرض الإله ، فطفق يمتحن الشعراء والخطباء والفنانين والسياسيين ، ليتحقق إن كان أحكم منهم ، ويكشف عن ناحية حكمته . كان يسألهم فى حلقات واسعة تضم أشتات الناس فيما حذقوه من فن ، فلا يلبث أن يتبين وأن يبين لهم أنهم لا يعلمون شيئاً ، وأنهم إنما يصدرون عن مجرد ظن ، أو عن إلهام إلهى ، وكلاهما مباين للعلم[1] . وخرج من هذا الامتحان الطويل بأن مراد الإله هو ان حكمته قائمة فى علمه بجهله ، بينما غيره جاهل يدعى العلم . فمضى فى مهمته يبذل الحكمة بلا ثمن ، وهو يعتقد أنه يحمل فى عنقه أمانة سماوية ، وأن الله أقامه مؤدباً عموميا مجانياً يرتضى الفقر ويرغب عن متاع الدنيا ليؤدى هذه الرسالة الإلهية . وكان إلى جانب هذا وطنياً صادقا وجنديا باسلا اشترك فى حربين ، دامت الأولى من سنة ٤٣٢ إلى سنة ٤٢٩ ، ووقعت الثانية سنة ٤٢٢ ، وتوسطتهما موقعة سنة ٤٢٤ ، فدل فى كل فرصة على رباطة جأش وشجاعة وصبر على مكاره الجندية ، ونجّى من الموت القيبادس فى إحدى المعارك ، واكسانوفون فى أخرى . ثم أصابته القرعة فدخل مجلس الشيوخ ، فعرف بالنزاهة واستقلال الرأى بين الديمقراطيين والأرستقراطيين ، وكانت له مواقف مشهودة جهر فيها بالحق والعدل مستهدفا للخطر صامداً للهياج . وما أن انقضت مدة

(١) انظر فيما بعد عدد ٤٥ ج .

انتخابه حتى عاد إلى سابق أمره من البحث والإرشاد ، إلى أن بلغ السبعين[١] .

٢٧ — فلسفته :

ا — انتهج سقراط منهجاً جديداً فى البحث والفلسفة . أما فى البحث فكان له مرحلتان تدعيان « التهكم والتوليد » : ففى الأولى كان يتصنع الجهل ، ويتظاهر بتسليم أقوال محدثيه ، ثم يلقى الأسئلة ويعرض الشكوك ، شأن من يطلب العلم والاستفادة ، بحيث ينتقل من أقوالهم إلى أقوال لازمة منها ولكنهم لا يسلمونها فيوقعهم فى التناقض ويحملهم على الإقرار بالجهل . فالتهكم السقراطى هو السؤال مع تصنع الجهل[٢] أو تجاهل العالم ، وغرضه تخليص العقول من العلم السوفسطائى أى الزائف ، وإعدادها لقبول الحق . وينتقل إلى المرحلة الثانية ، فيساعد محدثيه بالأسئلة والاعتراضات مرتبة ترتيباً منطقياً على الوصول إلى الحقيقة التى أقروا أنهم يجهلونها ، فيصلون إليها وهم لا يشعرون ، ويحسبون أنهم استكشفوها بأنفسهم . فالتوليد هو استخراج الحق من النفس . وكان سقراط يقول فى هذا المعنى إنه يحترف صناعة أمه — وكانت قابلة — إلا أنه يولد نفوس الرجال[٣] . والأمثلة كثيرة فى محاورات أفلاطون على هذين المنهجين .

ب — وأما فى الفلسفة فكان يرى أن لكل شىء طبيعة أو ماهية هى حقيقته يكشفها العقل وراء الأعراض المحسوسة ، ويعبر عنها بالحد ؛ وأن غاية العلم إدراك الماهيات ، أى تكوين معان تامة الحد . فكان يستعين بالاستقراء ويتدرج من الجزئيات إلى الماهية المشتركة بينها ، ويرد كل جدل إلى الحد والماهية فيسأل : ما الخير وما الشر ، ما العدالة وما الظلم ، ما الحكمة وما الجنون ، ما الشجاعة وما الجبن ، ما التقوى وما الإلحاد ، وهكذا . فكان يجتهد فى حد الألفاظ والمعانى حداً جامعاً مانعاً ، ويصنف الأشياء فى أجناس وأنواع ، ليمتنع الخلط بينها ، فى حين كان السوفسطائيون يستفيدون من اشتراك الألفاظ وإبهام المعانى ، ويتهربون من الحد الذى يكشف المغالطة . فهو « أول من طلب الحد الكلى طلباً مطرداً وتوسل إليه بالاستقراء . وإنما يقوم العلم على هاتين الدعامتين : يُكتسب الحد بالاستقراء ،

---

(١) انظر أفلاطون : « احتجاج سقراط على أهل أثينا » .

(٢) أفلاطون : « الجمهورية » م ١ ص ٣٣٧ (١) .

(٣) أفلاطون : « تيتياتوس » ص ١٤٩ — ١٥٢ .

ويركب القياس بالحد ، فالفضل راجع إليه فى هذين الأمرين »[1] . ولقد كان لاكتشافه الحد والماهية أكبر الأثر فى مصير الفلسفة . فقد ميز بصفة نهائية بين موضوع العقل وموضوع الحس ، وغير روح العلم تغييراً تاما ، لأنه ، إذ جعل الحد شرطاً له ، قضى عليه أن يكون مجموعة ماهيات ، ونقله من مقولة الكمية حيث استبقاه الطبيعيون والفيثاغوريون ، إلى مقولة الكيفية . فهو موجد « فلسفة المعانى » أو الماهيات ، المتجلية عند أفلاطون وأرسطو ، والتى ترى فى الوجود مجموعة أشياء عقلية ومعقولة .

ح — سبقت الإشارة إلى أنه لم يحفل بالطبيعيات والرياضيات ؛ ولم يكن موقفه بإزاء النظريات العلمية ليختلف كثيراً عن موقف السوفسطائيين ، فآثر النظر فى الإنسان وانحصرت الفلسفة عنده فى دائرة الأخلاق[2] باعتبارها أهم ما يهم الإنسان — وهذا معنى قول شيشرون أن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض ، أى أنه حول النظر من الفلك والعناصر إلى النفس . وتدور الأخلاق على ماهية الإنسان . وكان السوفسطائيون يذهبون إلى أن الطبيعة الإنسانية شهوة وهوى ، وأن القوانين وضعها المشرعون لقهر الطبيعة ، وأنها متغيرة بتغير العرف والظروف ، فهى نسبية غير واجبة الاحترام لذاتها ، ومن حق الرجل القوى بالعصبية أو بالمال أو بالبأس أو بالدهاء أو بالجدل ، أن يستخف بها أو ينسخها ويجرى مع هوى الطبيعة . فقال سقراط : بل الإنسان روح وعقل يسيطر على الحس ويديره ، والقوانين العادلة صادرة عن العقل ، ومطابقة للطبيعة الحقة ، وهى صورة من قوانين غير مكتوبة رسمها الآلهة فى قلوب البشر . فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الإلهى . وقد يحتال البعض فى مخالفتها بحيث لا يناله أذى فى هذه الدنيا ، ولكنه مأخوذ بالقصاص العدل لا محالة فى الحياة المقبلة . والإنسان يريد الخير دائما ، ويهرب من الشر بالضرورة ، فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو إنسان أراده حتما . أما الشهوانى فرجل جهل نفسه وخيره ، ولا يعقل أنه يرتكب الشر عمداً . وعلى ذلك فالفضيلة علم ، والرذيلة جهل — وهذا قول مشهور عن سقراط يدل على مبلغ إيمانه بالعقل وحبه للخير . وإن كان فيه إسراف فما أجمله من إسراف !

ء — ولا شك أن مابسطه أفلاطون فى محاورته « أوطيفرون » من رأى فى الدين

---

(١) أرسطو : ما بعد الطبيعة م ١ ف ٦ ص ٩٨٧ ع ب س ١ — ٤ و م ١٣ ف ٤ ص ١٠٧٨ ع ب س ١٦ — ٣٠ باختصار .

(٢) أرسطو : فى الموضعين المتقدمين .

يرجع إلى أستاذه ويتفق مع تعاليم الفيثاغورية والأورفية . ونحن نقرأ فيها أن سقراط يأبى أن يصدق ما يروى عن شهوات الآلهة وخصوماتهم ، وإلا انهار الدين من أساسه ، ولم نعد نعلم أى الأعمال يروق فى أعين الآلهة ، وأيها لا يروق ، ولا إن كان العمل الحسن عند أحدهم لا يعد مرذولا عند غيره . ويحد الدين بأنه تكريم الضمير النقى للعدالة الإلهية ، لا تقديم القرابين وتلاوة الصلوات مع تلطخ النفس بالإثم . كذلك كان يعتقد أن الآلهة يرعوننا ، وأنهم عينوا لكل منا مهمة فى هذه الدنيا . وكان يؤمن بالخلود ، ويعتقد أن النفس متمايزة من البدن فلا تفسد بفساده ، بل تخلص بالموت من سجنها ، وتعود إلى صفاء طبيعتها . وليس يهمنا كثيراً أن نقف على شروحه وأدلته ، فقد اصطنعها أفلاطون بلا ريب وزاد عليها . وليس من غضاضة على سقراط أن يفنى مجهوده فى مجهود أفلاطون ؛ فحسبه أنه باعث الفلسفة ، وموجهها وجهتها الروحية ، وشهيدها الأمين .

٢٨ — محاكمته ومماته :

١ — إذا كان منهجه قد حشد حوله جماهير الأثينيين وأفاده شهرة واسعة ، فقد جلب عليه سخط الشعراء والخطباء والسياسيين الذين كانوا يقمون فريسة بين يديه ، يعبث بهم فى الجدل ، ويظهر الناس على فراغ رؤوسهم وبطلان دعاواهم . وأقدم طعن وجه إليه فيما نعلم رواية « السحب » لأرسطوفان يصوره فيها ذائع الصيت عظيم النفوذ (وكان سقراط حينذاك فى السابعة والأربعين) صاحب مدرسة يعيش فيها التلاميذ عيشة مشتركة فى فقر وقذارة ، ويدرسون عليه الهندسة والطبيعة والفلك والآثار العلوية والجغرافيا وأعماق الأرض والكائنات الحية والبيان والنحو والعروض . ويمثله جالساً فى سلة مرفوعة فى الفضاء يناجى السحب مأوى المفكرين الخياليين ، ويعزو إليه القول بأن الهواء مبدأ الأشياء ومبدأ الفكر ، ويتهمه بالكفر بآلهة المدينة ، وبتعليم التلاميذ تغليب الباطل على الحق ، ويعلن أن القصاص العادل إحراق المدرسة وقتل صاحبها والتلاميذ جميعاً . — فأرسطوفان جمع فى شخص سقراط خصائص الطبيعيين والسوفسطائيين ، وأراد أن يهجو هذه الجماعة المتفلسفة المبتدعة ، وكان هو محافظاً يغار على التقاليد . وقد يكون خدع بالمشابهة الظاهرة بين طريقة سقراط وطريقة السوفسطائيين ، إذ كان يجادل مثلهم ويخوض فى مسائلهم ، بحيث لم يكن من الميسور تمييزه منهم إلا للمقربين إليه الواقفين على آرائه ؛ فاختاره بطلا لروايته لشهرته عند الأثينيين ، وغرابة هيئته ، ورآه أدعى المتفلسفين لتكوين شخص رواية هزلية وإسقاط الجماعة

الذين يمثلهم . وقد يكون سقراط امتحنه فيمن امتحن ، وألحمه أمام الجمهور ، فأراد هو أن ينتقم لنفسه ولزملائه وأن يوقع بهذا الخصم العنيد . ومهما يكن من الباعث له ، فإن روايته لم تصادف إقبالا ، ولم تلحق أى أذى بسقراط ، بل إن سقراط كان يذهب لمشاهدتها ويضحك منها .

ب — وبعد ذلك بثلاث وعشرين سنة (٣٩٩) أخذ ثلاثة على أنفسهم أن يبعثوا اتهامه ، وأن يؤيدوه أمام القضاء ، فتقدموا بعريضة يدعون فيها « أنه ينكر آلهة المدينة ، ويقول بغيرهم ، ويفسد الشباب » ويطلبون الإعدام عقاباً له . هؤلاء الثلاثة هم : أنيتوس أحد رؤوس الصناعة وزعماء الديمقراطية ، وميليتوس شاعر شاب خامل ، وليقون خطيب لا بأس به . أقام الدعوى ميليتوس ، وانضم إليه ووقع على عريضته الاثنان الآخران ؛ ولكن المحرك الأصلى أنيتوس أغرى صاحبيه بالمال واستغل حفيظتهما ؛ فإنه كان أقدر منهما على التأثير فى سير الدعوى . فأسباب الاتهام شخصية وسياسية ، لأن سقراط ، علاوة على تسفيه الشعراء والخطباء ، كثيراً ما كان يحمل على النظام الديمقراطى ، وينتقد ما يقوم عليه من مساواة مسرفة ، وقوة العدد ، وانتخاب بالقرعة . ويلوح أن المقصود بالتهمة الأولى سخرية سقراط من قصص الآلهة ؛ وبالتهمة الثانية ذلك الصوت الذى كان سقراط يقول إنه يسمعه فى نفسه ينهاه كلما اعتزم فعلاً ضاراً به وهو لا يدرى ، وكان يسميه بالروح الإلهى ولا ينسبه لإله معين ؛ وبالتهمة الثالثة أن سقراط ، إذ يحدث تلاميذه ومستمعيه بآرائه فى الآلهة ، ينفرهم من الديانة الموروثة ، ويحضهم على التفكير الشخصى دون مبالاة بالنقل والتقليد ، فيضعف من طاعتهم لوالديهم ، من إخلاصهم للدولة .

ح — أما المحكمة فكانت مؤلفة من محلفين اختيروا بالقرعة ، ويظن أن عددهم كان خمسمائة واثنين : فكانت المحكمة إذن جمعا حاشداً من النوتية والتجار يتأثرون بالنزعات الشعبية والتيارات الفجائية ، ولا يصلحون بحال للنظر فيما ندبوا له . ودافع سقراط عن نفسه ولا نعلم ماذا قال ، ولكنا إذا رجعنا إلى الدفاع الذى كتبه أفلاطون وأجرى فيه الكلام على لسان أستاذه ، ألفيناه يبدأ بالاعتذار من الكلام بلا تحضير ولا تنميق ، ثم يذكر خصومه المتقدمين والمتأخرين ، فيرد أولا على الشعراء الهزليين ، وبالأخص على أرسطوفان ، فينكر أنه اشتغل بالعلوم الطبيعية ، وأنه عرض للآلهة بسوء ، ويعلل التحامل عليه بامتحانه المشهور ، ويلتمس عذراً لهذا الامتحان رغبته فى التحقق من مراد أبولون . وينتقل إلى ميليتوس ، فيهزأ منه ويربكه بالأسئلة . ولكنه لا يبسط معتقده الدينى ولا يدحض التهمة دحضاً قاطعاً ،

وربما كان السبب فى هذا التحفظ إشفاقه أن تثار مثل هذه المسائل أمام مثل هذه المحكمة ، وتحاشيه إهاجة الجمهور على غير طائل . ويعود إلى رسالته ويقول : إن إرادة إلهية أوحت إليه أن يعظ مواطنيه ويحثهم على الصلاح ، وبعثته فيهم مهماز يحفزهم ، فهو نورهم وهدايتهم والمحسن إليهم بتعاليمه ونصائحه ، يبذلها لهم ليؤدى واجباً ، ولا يبتغى عرضا من أعراض الدنيا . ويعلن إليهم أنه إذا صرف برىء الساحة فلن يغير من سيرته شيئا . وكيف يغير وهو لا يخشى الموت ، بل يؤثره على الحياة مع خيانة الواجب ؟ وأخيراً يفوض لهم الأمر بعد أن يذكر أنه يأبى أن يستعطفهم وأن يتنزل إلى ما يتنزل إليه غيره من ضروب الاسترحام المألوفة فى المحاكم الشعبية ، كالبكاء والاستبكاء فى حضرة الآباء والأبناء . ولم يكن هذا الشمم وهذا التحدى ليعجبان القضاة ، فيقترعون ؛ وإذا بالغالبية على أن سقراط مذنب . وكان القانون يخول المتهم حق مناقشة العقوبة المطلوبة ، وتعيين العقوبة التى يرتضيها فيستأنف سقراط الكلام ويصرح أنه لا يدهش للقرار ، بل يدهش لأنه صدر بغالبية ضئيلة لا تعدو ستين صوتا ، كان يكفى أن ينحاز ثلاثون منها إلى الأقلية حتى تتساويا . ويرفض كل عقوبة لأن الرضى بواحدة أية كانت إقرار بالذنب ، وهو برىء محسن يجب أن يثاب على إحسانه ، والثواب اللائق به أن يعيش فى مجلس الشيوخ على نفقة الدولة . غير أن تلاميذه يلحون عليه ، فينتهى بأن يقبل تأدية غرامة ، ويتقدم أفلاطون وبعض الأصدقاء بكفالته . ولكن القضاة كانوا قد غضبوا عليه وكان خصومه يسيرون بين الصفوف ويحرضون عليه ؛ فيقترع القضاة ، فتحكم عليه بالإعدام أغلبية أعظم . فيعاود الكلام ويقول : إنه لا يأسف على شىء ، لأنه لم يفعل ولم يقل إلا ما بدا له أنه حق . ويختم بكلمة طيبة إلى الذين اقترعوا فى جانبه ؛ مؤكداً لهم أنه مغتبط بالموت ، وأنه لا يعتبره شراً ، بل يرى فيه الخير كل الخير سواء افترضناه سباتاً أبديا أم بعثا لحياة جديدة[1] .

٩ — وكانت أثينا ترسل كل سنة حجيجا إلى معبد أبولون فى جزيرة ديلوس فاتفق أن كللت مؤخرة المركب فى اليوم السابق على صدور الحكم . وكان قانونا مرعيا أن لا تدنس المدينة بإعدام طوال زمن الحج . وقد استغرق فى تلك السنة ثلاثين يوما . فانتظر سقراط فى سجنه أوبة المركب . وكان تلاميذه يختلفون إليه كل يوم ، يتلاقون عند الفجر فى المحكمة فإذا ما فتح باب السجن دخلوا . وكثيراً ما كانوا يقضون معه النهار بأكمله . وكان هو ينظم فى أوقات الفراغ ؛ فنظم أمثال أيسوب ، ونشيداً لأبولون . ولم يكن قد نظم الشعر من قبل

(١) أفلاطون « احتجاج سقراط على أهل أثينا » .

وإنما نظم امتثالا لصوت طالما سمعه فى المنام[1] . وائتمر تلاميذه ، فهيأوا له أسباب الفرار ، ووفروا له وسائل العيش فى تساليا . وكان الفرار مستطاعا ، وكان العرف يعذر الفارّ فى مثل هذه الحال . ولكنه أبى أن يهرب كالعبيد ، وأن يخرج على قوانين بلاده ، والقوانين سياج الدولة ، فى ظلها ينشأ الأفراد ويحيون . فلئن كان الأثينيون ظلموه ، فبأى حق يستهين هو بالقوانين ويظلمها ؟ ثم كيف يهرب وهو لم يغادر أثينا قط إلا للحرب دونها ، وهو أينما يذهب سيثابر على خطته من الوعظ والتأنيب ، وإلا ضاع لديه كل معنى للحياة ، وأغضب الإله . فهل يكون الأجانب أوسع صدراً من مواطنيه ؟[2] .

هـ — ولما عادت المركب وحل الأجل ، بكر التلاميذ (ماخلا أفلاطون ، فقد كان مريضا) وجاء بعض الفيثاغوريين ، فأدخلوا عليه ، فوجدوا زوجته جالسة بجانبه تحمل ابنهما الصغير . فلما وقع نظرها عليهم أخذت تنتحب وتندب ، فأمر أن تصرف إلى المنزل فأخذها بعض الخدم وهى تصيح وتضرب صدرها[3] . وجلس إليه مريدوه ، وكان هو سعيداً . وكان شىء من هذه السعادة ينتقل إلى نفوسهم ، فيتحدثون معه حل عادتهم ويضحكون ، ثم يفكرون فى موته فيبكون ، ثم يستأنفون الحديث ، وهكذا[4] . وكان ينظم حديثهم فى خلود النفس . حتى إذا ما تقدم النهار قام فاستحم ليكفى النساء مؤونة إحمام جثة هامدة . فلما رجع أدخل عليه قريباته وممن أولاده الثلاثة ، فكلمهم ثم صرفهم . ولما آذنت الشمس بالمغيب دخل السجان وأبلغه دنو الساعة وأثنى على خلقه وبكى — وكان الغروب ميعاد الإعدام عندهم . فأمر سقراط بالسم ، فأحضر له مسحوقا فى كأس ، فتناوله بثبات ، ودعا الآلهة أن يوفقوه فى هذا الرحيل من العالم الفانى إلى العالم الباقى ، وشرب الكأس حتى آخرها دون تردد ولا اشمئزاز . وأجهش التلاميذ بالبكاء فانتهرهم ، وأخذ يتمشى ، حتى إذا ما أحس بثقل رجليه استلقى على ظهره كما أوصاه صاحب السم . وأخذت البرودة تغشى جسمه من أسفل إلى أعلا ، فيفقد الإحساس شيئا فشيئا ، حتى بلغت القلب فاعترته رجفة فأطبق أقريطون فمه وعينيه[5] .

---

(١) أفلاطون : « فيدون » ص ٥٨ — ٦١ .

(٢) أفلاطون : « أقريطون » .

(٣) أفلاطون : « فيدون » ص ٦٠ .

(٤) أفلاطون : « فيدون » ص ٥٨ (١) — ٥٩ .

(٥) « فيدون » ص ١١٦ — ١١٨ .

الفصل الثالث

صغار السقراطيين

٢٩ — ثلاث مدارس :

ا — من أصحاب سقراط جماعة علّموا فى حياته أو بعد مماته ، وكتبوا « مصنفات سقراطية » أجروا فيها على لسانه تأويلهم الشخصى لفكره ، مع ادعائهم جميعا صدورهم عنه . أشهرهم ثلاثة : أقليدس مؤسس المدرسة الميغارية — وانتستانس مؤسس المدرسة الكلبية — وارستبوس مؤسس المدرسة القورينائية . ظلت مدارسهم قائمة زمناً طويلا ، ومع ذلك لم يصلنا من كتبهم الكثيرة سوى بعض الشذرات ، وندرت الأخبار الصادقة عنهم حتى ليتعذر تصوير أشخاصهم ورواية آرائهم بشىء من الدقة والتفصيل . وقد اصطلح على تسميتهم بصغار السقراطيين أو أنصاف السقراطيين ، على تقدير أن أفلاطون هو السقراطى الكبير والسقراطى الخالص . ويعترض البعض على هذه التسمية فيقول : أما أن أفلاطون أعلاهم قدراً ، فهذا حكم قائم على أن كتبه قد وصلت إلينا وضاعت كتبهم ؛ وأما أنه السقراطى الحقيقى ، فمن أين لنا أن تعاليم سقراط هى التى ذكرها أفلاطون ؟ ونحن لا نرى بأساً بهذه التسمية مادام الحظ قد خانهم إلى هذا الحد ، وأوصد دوننا كل سبيل لإنصافهم إن كانوا يستحقون الإنصاف . وأغلب الظن أنهم لا يستحقون ، فإن ما بقى لنا من أقوالهم وأخبارهم يدل على أنهم مارسوا النقد السلبى المعروف عن السوفسطائيين ، فى حين أن أفلاطون وحده أقام مذهباً إيجابياً : فهو كبير وهم صغار . ثم إن الصورة التى بقيت للإنسانية عن سقراط هى تلك التى رسمها أفلاطون : فبالقياس إليها وبالإضافة إلى حالة علمنا بهم ، يكون أفلاطون السقراطى الكلى ، ويكونون هم أنصاف سقراطيين .

٣٠ — أقليدس الميغارى (؟)

ا — عاد أقليدس إلى وطنه ميغارى وأنشأ بها مدرسة اشتهرت بالجدل . ولحق به بعض الإخوان ، منهم أفلاطون . كان أقليدس قد تلقى فى أول أمره المذهب الإيلى بما فيه من جدل عند بارمنيدس وزينون . ثم عرف الحركة السوفسطائية ، فجاء مذهبه مزيجاً من

الإيلية والسقراطية ، مع ميل كبير إلى السفسطة . جمع بين الوجود البرمنيدى والخير السقراطى مطلب الإرادة وقاعدة الأخلاق . فقال إن الوجود واحد ، والخير واحد كذلك ؛ وما ليس خيراً فلا وجود له ؛ أو — على حد تعبير أرسطو — الوجود والخير متساويان ، فالوجود خير والخير وجود . ولكن الخير يسمى بأسماء كثيرة ، فيقال له الله أو العناية أو العقل . ويبدو الوجود فى ماهيات مختلفة هى مظاهر الوحدة الأصلية ، وليس لها وجود إلا فى الفكر . أما إذا اعتبرناها حقيقية امتنع كل قول وكل حكم ، لأن وضعها فى الحقيقة يجعلها منفصلة متمايزة ثابتة ، فكيف تحمل واحدة على أخرى ؟ كذلك تمتنع الحركة لامتناع تحول ماهية إلى غيرها . فالحكم لغو ، والحركة وهم ، والماهيات واحدة وإن تعددت الأسماء . — فأقليدس إيلى عالج مذهب بارمنيدس بما أخذ عن سقراط من أقوال فى المعنى الكلى والماهية والحكم والخير . وهو إيلى كذلك فى منهجه ، إذ يقال إنه كان يقلد زينون فيعتمد على برهان الخلف ، وهو برهان يهدم النتيجة ببيان ما يترتب عليها من محالات ، دون التعرض للمقدمات . والجدل السقراطى قائم على الاستقراء بالأمثلة ومهاجمة مقدمات الخصم .

٣١ — انتستانس الأثينى (٤٤٤ — ٣٦٨) :

ا — ولد انتستانس فى أثينا . وتتلمذ لغورغياس فنشأ على السفسطة . ثم عرف سقراط ولزمه . وبعد وفاة سقراط أخذ يعلم . وكان يجتمع بتلاميذه فى مكان اسمه « الكلب السريع » فأطلق عليهم اسم الكلبيين . ولعل هذا الاسم لحقهم بالأكثر لسماجتهم وغرابة أطوارهم : فقد كان انتستانس معجباً بتواضع سقراط وبساطة معيشته وحرية قوله ، فأسرف فى محاكاته ، وأسرف تلاميذه .

ب — وإذا أخذنا بشهادة أفلاطون وأرسطو ، لم نضف إليه مقدرة فلسفية خاصة . فقد وصفه الأول « بالشيخ البليد العقل » ووصمه الثانى بأنه « رجل فظ أحمق » . تكلم فى الماهية فأنكر أن تكون كلية وقال « إنى أرى فرساً ، ولا أرى الفرسية » : فالماهية عنده فردية ، يعبر عنها بلفظ مفرد ، لا بحد مركب من لفظين أو أكثر . وعلى ذلك يستحيل الحكم والجدل والخطأ ؛ أما الحكم ، فلأنه يستحيل تصور شىء إلا بتصور هذا الشىء نفسه ، ويستحيل التكلم عنه إلا بذكر اسمه ، فإن الماهية إما أن تكون بسيطة ، فلا تحد بل تشبه بشىء آخر ؛ وإما أن تكون مركبة ، فتذكر عناصرها ، والعناصر لا تحد ، بل تشبه بغيرها ، وفى كلا الحالين تعرف الماهية باسمها أو باسم ماهية تشبهها . وكان يقول

بهذا المعنى « بداية كل تعليم دراسة الأسماء » . فليست تضاف الماهيات بعضها إلى بعض ، ولكنها تبقى منفصلة لتباينها ، مثل مباينة « الإنسان » و « الطيب » : فكل ما يصح أن يقال هو الإنسان إنسان ، والطيب طيب . وأما الجدل فستحيل لأن المتناظرين إما أن يتعقلا شيئاً واحداً فهما متفقان ، وإما أن يتعقلا أشياء مختلفة فلا معنى للمناظرة . وأما استحالة الخطأ فلأن المفهوم من الخطأ أنه تصور ماليس موجوداً ، ويستحيل أن نتصور غير الموجود .

ح — هذا الرأى فى التصور والحكم يستتبع ازدراء العلم ، من حيث إن العلم مجموعة معان وأحكام . وكان انتستانس يزدرى العلوم بالفعل ، ويعتبرها غير مفيدة للسيرة ، فقصر كلامه على الفضيلة ، وهى عنده الشىء الوحيد الضرورى للحياة . وكان يحمل على اللذة وأتباعها ويقول « إنى أؤثر أن أبتلى بالجنون على أن أشعر باللذة » . وبالطبع لم يستخدم فى تعليم الفضيلة المنهج الاستدلالى الذى نقده ، بل كان يورد الأمثال ، ويذكر الأبطال ، ويصوغ الحكم ، فيبرز الفضيلة فى صورة حية ، ويحث عليها بإثارة المحاكاة لا بالبرهان . وكان يقول إن الفضيلة فى الأفعال ، والأفعال لا تعلم ، ولكنها تكتسب بالمران . فليست الكلبية إذن مذهباً فلسفياً وإنما هى سيرة وحياة .

٣٢ — أرستبوس القورينائى (٤٣٥ — ٣٦٦) :

ا — نشأ أرستبوس فى قورينا[1] ثم رحل إلى أثينا ، وانضم إلى السوفسطائيين ، إلى أن اتصل بسقراط فكان واحداً من تلاميذه المواظبين . وبعد ممات المعلم سافر إلى جهات مختلفة . وقضى مدة طويلة فى بلاط سراقوسة ، والتقى هناك بأفلاطون ، ولكنه أصاب من النجاح أكثر مما أصاب صاحبه ، لما كان يظهره من الخنوع والملق استبقاء للنعمة . وفى أواخر حياته عاد إلى قورينا وعلم فيها .

ب — ويستدل مما عرف عن مدرسته أنه كان حسياً تصورياً مثل بروتاغوراس ، يقول إنا لا ندرك سوى تصوراتنا ، ولا نبلغ إلى الأشياء التى تسبب الإحساسات ، بل لا ندرى إن كانت إحساساتنا تشبه إحساسات غيرنا من الناس ، لأن الإحساس شخصى ونحن منعزلون عن الخارج كأننا فى مدينة محصورة ، ولا يشترك الناس فى غير الألفاظ التى يسمون بها إحساساتهم ، واللفظ الواحد يدل على شعور مختلف عند كل منهم . وإذن فلا حكم

---

(١) هى الآن قرية صغيرة تدعى قرنة فى بلاد برقة (طرابلس الغرب) .

ولا علم . وكان أرستبوس هو أيضا يزدرى العلم النظرى كالكلبيين ، أما الأخلاق فقائمة على هذا الأساس التصورى ، أى على الشعور باللذة والألم . وهذا الشعور حركة نفسية ، فإن كانت الحركة خفيفة كان الشعور لذيذاً ، وإن كانت عنيفة كان مؤلماً . فاللذة هى الخير الأعظم ، وهى مقياس القيم جميعاً : هذا هو صوت الطبيعة ، فلا خجل ولا حياء . وما القيود والحدود إلا من وضع العرف . إذن فالسعادة فى اللذة ، وفى اللذة الحاضرة ، لكن من غير تعلق بها ، لأن التعلق مصدر قلق وألم ؛ ومن غير تفكير فى المستقبل ؛ لأن المستقبل غيب والتفكير فيه مصدر قلق وألم كذلك . فالحرية الحقة والسعادة الصحيحة فى التخلص من الشهوة باللذة التى ترضيها ؛ أو بالتخلص من الحياة متى لم يعد منها نفع .